

جائحة كورونا والوضع الإنساني الراهن

Corona pandemic and the current humanitarian situation

د. هشام مصباح^{*1}¹ جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2، hicham.philo21@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/ 12/18 تاريخ القبول: 2021/ 02/26 تاريخ النشر: 2021/ 03/ 31

Summary

الملخص

The subject of this study, which is characterized by the Corona epidemic crisis and the current human questions, or in the need for a universal declaration on human rights, revolves around the major challenges and stakes that Corona imposed on the world as a result of its great strength that no human being since his ancient history has ever lived through such unique historical moments from Talking about the Covid-19 pandemic is tantamount to delving into a set of crucial questions that are directly related to the reality of mankind and the various dimensions that the epidemic has imposed on every detail of human life, which made Freddick Groh trying to root the problem of the current crisis in the need to search for an ethical charter. And my rights are new in which the first priority is given to the human being and his supreme value that must be protected from all dangers, whatever their source, and thus attention to the question of man in light of the multiple conflicts that the world is experiencing today between the most advanced countries in the world and the extent of their repercussions on other weak countries that suffer silently from the social consequences of the epidemic. And economic.

Key words: Corona, rights, morals, the current crisis, the human question.

يدور موضوع هذه الدراسة الموسومة جائحة كورونا والوضع الإنساني الراهن حول التحديات والرهانات الكبرى التي فرضها كورونا على العالم نتيجة قوتها الكبيرة التي لم يسبق للإنسان منذ تاريخه القديم أن عاش مثل هذه اللحظات التاريخية الفريدة من نوعها، فالحديث عن جائحة كوفيد-19 يعد بمثابة الخوض في غمار مجموعة من الأسئلة الحاسمة ذات الصلة المباشرة بواقع الإنسان والأبعاد المتنوعة التي فرضها الوباء على كل تفاصيل الحياة الإنسانية، وهو الأمر الذي جعل فريديك غرو يحاول تأصيل مشكلة الأزمة الراهنة في ضرورة البحث عن ميثاق أخلاقي وحقوق جديد تعطي فيه الأولوية الأولى للإنسان وقيمه العليا التي يجب حمايتها من كل الأخطار مهما كان مصدرها، وبالتالي الاهتمام بسؤال الإنسان في ظل الصراعات المتعددة التي يعيشها العالم اليوم بين الدول الأكثر تقدماً في العالم ومدى انعكاساتها على الدول الأخرى الضعيفة التي تعاني في صمت نتائج الوباء الاجتماعية والاقتصادية.

الكلمات المفتاحية: كورونا، الحقوق، الأخلاق، الأزمة الراهنة، سؤال الإنسان.

د. هشام مصباح: hicham.philo21@gmail.com *

مقدمة:

يعيش العالم اليوم تحولات كبرى في جميع مجالات الحياة بعد الاجتياح الغير معلن لكورونا، ليتم التحول بسرعة البرق نحو البحث عن السبل والطرق الكفيلة بإنقاذ الانسانية من امتحان قد تكون نتائجه غير متوقعة خصوصاً إذا كان الثمن هو الحياة، إنه صراع جديد بين الطبيعة والانسان الذي لطالما ادّعى سيطرته عليها وكان مفتخراً بذلك إلى أقصى الحدود، ليكتشف سريعاً مدى الخطأ الفادح الذي وقع فيه، فيروس كورونا يبدو أنه أكبر من وباء عادي بل صراع جديد بين القوى الكبرى في العالم.

على اثر هذه التحولات الكبرى التي يعرفها العالم اليوم تكاثرت التأويلات والتفسيرات من قبل الباحثين والاعلاميين والسياسيين، فالكُل يعطي رأيه وتفسيره حول الجائحة الأخطر على البشر منذ تاريخ وجوده على الكوكب الأزرق، وبين التأمّلات والتأمّنيات يزدادُ الخوف والهلع من مخاطر فيروس كورونا المميت.

فقد عرفت البشرية عبر تاريخها الطويل العديد من الأخطار والأوبئة التي كادت تعصف بوجودها على الكوكب الأزرق لكنها استطاعت دائماً التغلب عليها والخروج منتصرة على جميع ما يهددُ مصيرها وبقائها، لتعلن في كل مرة حالة الصراع والتحدي بين الإنسان والطبيعة، ولعل من أكبر الأخطار وأشدّها فيروس كورونا المستجد الذي ظهر في ديسمبر 2019 في مدينة ووهان الصينية ليشقّ طريقه إلى بقية أنحاء العالم بشكل سريع وتراجيدي مخيف لم تعرف البشرية مثله في تاريخها، الأمر الذي نتج عنه العديد من التفسيرات والتأويلات لمرحلة الفيروس وما بعده على الصعيد العالمي.

وعلى هذا الاساس سنحاول في ورقتنا البحثية هذه تحليل الحالة الإنسانية الراهنة من خلال الوضع الإنساني الذي تمر به في ظل الجائحة العالمية.

مشكلة الدراسة: وعليه ما هي الأسئلة المحورية التي فرضتها الجائحة في القرن الحادي والعشرين؟ وفيما تكمن الآثار والانعكاسات في زمن الكورونا وما بعدها؟ وما هي آليات التعامل معها محلياً وعالمياً؟

أهداف الدراسة: تتمثل أهداف هذه الدراسة في محاولة تشخيص الواقع الإنساني الذي يعيشه العالم في ظل تفشي فيروس كورونا المستجد منذ نهاية السنة الماضية وإلى غاية تاريخ اللحظة الراهنة، أين تعددت الأسئلة حول مصير الإنسان المجهول أمام هذا الوباء خصوصاً بعد عجز العلماء عن اكتشاف اللقاح المضاد له، الأمر الذي أنتج مخاوف جديدة تبعثها تساؤلات ذات أبعاد متنوعة متعلقة كلها بواقع العالم بعد كورونا.

أهمية الدراسة: إن أهمية هذه الورقة البحثية تكمن بالأساس في تحليل أزمة الوباء والأبعاد المتعددة التي أنتجها سواء في جانبه السيكلولوجي وما رافقه من هلع ورعب لم يعرفه الإنسان طيلة تاريخه خصوصاً بعد الضجة الإعلامية الكبيرة التي رافقت ظهور الفيروس ومراحل تطوره، أو في جانبه الاجتماعي وما نتج عنه من مسائل متعلقة بطبيعة الحياة الإنسانية التي أصبحت مغايرة تماماً لما كان مألوفاً من قبل، أو في جانبه السياسي والصراعات الدائرة بين كبرى الدول في العالم، وصولاً إلى جانبه الاقتصادي والثقافي وما نتج عنه من أسئلة أخرى متعلقة بمصير الإنسان في ظل هذه التحديات الراهنة.

منهج الدراسة: من أجل الوقوف على حقيقة الفيروس الجديد الذي أصاب البشرية تم الاعتماد على المنهج التحليلي بالدرجة الأولى من خلال تحليل واقع الأزمة التي يعيشها العالم اليوم في ظل هذه الجائحة الرهيبة، ثم الاعتماد على المنهج المقارن والتاريخي من خلال الرجوع إلى تاريخية مفهوم الوباء ومقارنته بمختلف الأمراض الوبائية التي تعرض لها الإنسان طيلة تاريخه.

1. جائحة كورونا وتاريخ الأوبئة، لماذا كورونا أقوى من الجميع؟

كما أشرنا سابقاً في المقدمة لقد عرفت البشرية العديد من الأوبئة والفيروسات والجراثيم طيلة مسارها التاريخي، ومن ثمة التأكيد على قدم الصراع بين الإنسان وعالم الأوبئة والفيروسات فمند القدم والإنسان يجابه مختلف الأمراض الخطيرة والمعدية التي يصعب السيطرة عليها أو التحكم فيها إلا بعد أن تترك أثراً وخيمة في عدد الموتى والمصابين بهذه الأوبئة، وعليه فالحديث عن فيروس كورونا ليس بالأمر الجديد في ميدان علم الأوبئة فقد سبقه فيروس سارس وميرس والأنواع الأخرى التي أصابت العالم دون أن تترك انعكاسات وخيمة بمثل ما

يحدث مع كوفيد19 الرهيب والعجيب في الوقت ذاته، انطلاقاً من أنه لم يصب مجال الصحة والمرض فقط بل شمل جميع مناحي الحياة الإنسانية في جانبها الاقتصادي الذي تلقى ضربة كبيرة لا يمكن نسيانها بسهولة في زمن التقدم العلمي والتقني الرهيب الذي بلغه العلم الغربي على وجه الخصوص، الجانب الاجتماعي والتحول الجذرية في نمط الحياة الإنسانية وابعادها الاجتماعية التي أصبحت كلها تمشي وفق قانون العزل والحجر الصحي، ومن ثمة البقاء في المنزل هو الحل الأمثل في ظل انتشار مرض لا حدود له على الإطلاق، أيضاً الجانب السيكلولوجي نتيجة الخوف والرعب الذي فرضه في جميع أنحاء العالم، خوف من نوع جديد لم يألفه الإنسان المعاصر منذ زمن بعيد، الجانب التعليمي وغلق المدارس والجامعات والاكتفاء بالدروس التي تقدم عن بعد، الجانب السياسي والأسئلة المحورية التي أصبحت اللغة المشتركة لدى السياسيين في جميع أنحاء العالم خصوصاً بعد الأحداث الأخيرة التي عرفها الاتحاد الأوروبي، والصراع الأمريكي الصيني المتجدد في زمن الوباء وغيرها من المجالات الأخرى التي لعب فيروس كورونا الدور الأساسي.

فالفيروسات من العناصر المرافقة للوجود الإنساني ولا يمكن تصور حياة من دون وجود هذا العالم الميكروبي اللامتناهي في الصغر، وبالتالي فهي تساهم بشكل أو بآخر في التأثير على حياة الإنسان باعتبارها ملازمة له، فقد أثبتت الدراسات الجينية الحديثة أن الفيروسات تتسلل إلى داخل الجسم البشري منذ زمن سحيق ومن ثمة فهي تشكل جزءاً من خريطته الجينية فهي تشكل ما بين 8 إلى 10 في المائة من مجموع مورثاتنا الجينية، كما أن عدد البكتيريا والفيروسات يفوق بكثير عدد الخلايا البشرية داخل الجسم الإنساني وهو ما عبر عنه عالم الأحياء جون هيرك بقوله: «إننا نمثل أقلية في داخل أجسامنا.» (هروس، 2020، ص: 20) وفي هذا تأكيد على وجود الفيروسات والميكروبات داخل الجسم الإنساني بشكل كبير جداً بحيث أنها تشكل جزءاً مهماً في سيرورة الحياة الإنسانية واستمراريتها، وبالتالي لا يمكن فصل الجانب الإيجابي للفيروسات عن الآخر السلبي الذي يؤدي بالحياة إلى نهايتها، كذلك لم تخلو المجتمعات البشرية عبر تاريخها من وجود الأوبئة بمختلف أشكالها وأصنافها، والعودة إلى تاريخ الأوبئة أفضل دليل على ذلك حيث نجد الموت الأسود أو الطاعون، الكوليرا الجذام، الانفلونزا بشتى أنواعها، فيروس سارس، فيروس ميرس، الإيبولا وغيرها من أنواع الفيروسات التي تركت بصمتها في تاريخ المرض وصراع الإنسان معه، وهو الأمر الذي أسس لظهور فرع علمي

طبي يختص بدراسة الأوبئة والبحث فيها، ومحاولة إيجاد العلاج واللقاح لكل الفيروسات والأوبئة التي تصيب الإنسانية فعلم الوبائيات هو علم عملي وقد تطور في فهم محتواه للأمراض التي تؤثر على البشر خلال مدة زمنية معينة، ففي بداية تكون المجتمعات تكون المشاكل الصحية الأساسية في الإنسان ناجمة عن الأمراض المعدية. (العمر، 2010، ص: 12) وهكذا ساهم هذا العلم في معرفة الأمراض المعدية والتصدي لها من خلال تطوير لقاحات خاصة بها، وعليه فالحديث عن علم الأوبئة حديث واسع يحتاج إلى دراسات مطولة لما فيه من مضامين تتعلق بالصحة والمرض.

أما بالرجوع إلى فيروس كورونا المستجد فإن بدايته التاريخية تعود إلى نهاية سنة 2019 في شهر ديسمبر أين تداولت بعض وسائل الأخبار الصينية نبأ إصابة بعض الأشخاص بفيروس جديد أطلق عليه كورونا فيروس أو كوفيد 19، وبعدها بمدة قصيرة شاع خبر تفشي الفيروس في المدينة الصينية ووهان بطريقة رهيبية جعلت الصين تدق ناقوس الخطر معلنة حالة طوارئ قصوي في كامل مدنها، ومدينة ووهان كحالة خاصة حيث فرض عليها حجر صحي إلزامي جندت له كل الظروف المادية والمعنوية، في هذه الأثناء مازال العالم بلعب دور المتفرج على مسرحية الفيروس الجديد القادم من الصين، ولم تلبث مدة قصيرة حتى بدأ يشق طريقه إلى مختلف أنحاء العالم بشكل سريع و رهيب لم يعرف له مثيل من قبل، ليتم الإعلان في شهر مارس 2020 أن كورونا وباء عالمي يقتضي أخذ جميع تدابير الوقاية منه من طرف المنظمة العالمية للصحة، ومن ثمة بدأت حكاية الوباء الجديد الذي أعطى البشرية دروس سيخلدها التاريخ وسيرويهما للأجيال القادمة التي لن تصدق ذلك بسهولة لأنها لم تعايش الوضع الكارثي الذي يعيشه العالم اليوم في ظل تفشي الفيروس العالمي، هذا الفيروس الذي يختلف عن باقي الفيروسات الأخرى التي عرفها العالم من قبل، لأنه بكل بساطة أوقف الحياة الإنسانية في كل بقاع المعمورة، مدناً فارغة لا حركة فيها، تباعد اجتماعي غير العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وجعل لعبة الاختفاء تحت الأقنعة الواقية الواقع الجديد المفروض على الإنسان في كل مكان من الكوكب الأزرق، ومن ثمة أصبح الحديث عن الفيروس بمثابة الرعب الحقيقي المزروع وسط الناس في كل أنحاء العالم فكم من الأحبة والأصدقاء خطفتهم كورونا من بين أيدينا في لحظات وجيزة لم نكن نتوقعها على الإطلاق، إنها بمثابة الأعصار المدمر الذي لا يترك أي شيء يقف في طريقه، كالتنين الذي يلتهم كل يوجد

أمامه، إنها حقائق قد لا تصدقها الأجيال التي تأتي مستقبلاً مثلما انتابنا نحن الشك عند سماع روايات الطاعون والموت الأسود، والأوبئة الأخرى التي أخذت ملايين البشر في فترات زمنية قصيرة، إن فيروس كورونا قد فرض من دون أي شك حالة حصار جديدة لم يتعود عليها الإنسان من قبل طيلة تاريخه الطويل، حالة من الاستثناء كما يقول الفيلسوف الإيطالي "جورجيو أغامبين" لأن الحياة الطبيعية التي لطالما سئمنا وضجرنا منها أضحّت مطلبنا الوحيد والمشارك، أن تعود كل الأمور كما كانت من قبل مطلب الإنسان المتقدم في بدايات القرن الاحادي والعشرين، هذا القرن الذي بلغ أعلى المراتب العلمية والتكنولوجية التي طوعت الأشياء في خدمة الإنسان وجدت نفسها في لمح البصر عاجزة تماماً على التعامل مع أزمة صحية ذات أبعاد شاملة متعددة فرضت نفسها أمام قوة الإنسان وجبروته، فتبين له في لحظات زمنية قصيرة مدى ضعفه الرهيب أمام قوة الطبيعة، واتضح له جيداً مدى قوة الطبيعة وعجز التقنية، فقد كانت كورونا بمثابة الضربة القاضية للنظام الرأسمالي الليبرالي رغم المدة الزمنية القصيرة حيث قيل "إن الأزمة الحالية وفي أقل من 100 يوم وضعت العالم أمام هشاشته وأمام استحالة استمرار الحركة داخل العالم الاجتماعي خشية العدوى والألم والموت ودفعت السياسيين إلى اتخاذ قرارات غير مسبقة لغلق المدن وعزل الدول ودعوة الجيوش للإنسان واستخدامت عبارة الحرب أكثر من مرة في خطابات المسؤولين الحكوميين." (حنين، 2020، ص: 02) ففي هذه المدة الزمنية فقط وجدت البشرية نفسها أمام العديد من الأسئلة المحورية التي فرضت عليها، ومن ثمة وجب إعادة طرحها من جديد خصوصاً تلك المتعلقة بالإنسان ومصيره وحرته، فمهما كانت حقيقة كورونا التي لا تزال غامضة إلى اللحظة الراهنة وقد تبقى هكذا إلى مالا نهاية، فإن الاهتمام بالوضع الصحي والسيكولوجي للإنسان من الأولويات القصوى التي تقوم عليها مبادئ حقوق الإنسان وعلى رأسها الحق في الحياة الذي أصبح في زمن الوباء يخضع لمبدأ الانتقاء والاصطفاء على أساس السن والحالة الاجتماعية والانتماء العرقي وغيرها من الأشياء الأخرى التي كشفتها جائحة كوفيد19، ومن ثمة فقد تم تعرية الكثير من الشعارات الواهية التي لا أساس لها في الواقع، والتي لطالما دافعت عنها العولمة التي وجدت هي الأخرى نفسها أمام هشاشة أنظمتها وعدم قدرتها على التحكم في الأوضاع الراهنة خصوصاً في الدول الأكثر تقدماً التي كانت تتبجح بنظامها الليبرالي الرأسمالي، في مقابل أنظمة أخرى أثبتت مدى نجاعتها في التعامل مع الأوضاع الطارئة والأوبئة المفاجئة كما هو الحال في

الدول الآسيوية وعلى رأسها الصين التي استطاعت أن تحتوي الوضع وتتخلص من تبعات الفيروس على نظامها الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، رغم الأسئلة الأخرى التي يمكن طرحها على ظهور الوباء في مدينة ووهان الصينية دون غيرها من المدن وكيفية انتقاله منها إلى بقية أنحاء العالم، فهو بمثابة اللغز المحير للعقول من جميع جوانبه، فمند ظهوره وانتشاره إلى بقية دول العالم وهو يحمل معه الكثير من المقاربات والمطارات الأساسية التي تشير كلها إلى مدى الأزمة الكبيرة التي وقع العالم فيها جراء هذا الفيروس المدمر، على الرغم من تاريخ الأوبئة الطويل الذي أصاب البشرية وكان أكثر فتكاً من كورونا، والرجوع إلى تاريخ الوباء في حد ذاته أفضل دليل على ذلك فمن الطاعون إلى الأوبئة الأخرى التي عصفت بالبشرية يمكن القول أن كورونا أقوى منها جميعاً، ليس من حيث الإصابة وانتقال العدوى، وإنما من حيث التداعيات الرهيبة التي مست جميع مجالات الحياة الإنسانية وأصابتها بالشلل التام، فكل القطاعات توقفت عن العمل، وأغلقت كبرى المدن العالمية التي أصبحت بمثابة مدن خاوية تشبه مدن الأشباح الفارغة من الحياة بشكل لم يسبق له أن وقع في العالم، وبالتالي فقد رافق هذا الوباء مقاربات متنوعة تتعلق كلها بمصير الحياة الإنسانية على الكوكب الأزرق، وبالوضع المتأزم الذي يمر به العالم اليوم في ظل تزايد الاصابات بفيروس كورونا يومياً بشكل رهيب، إنه أمر غامض يحتاج إلى إعادة تتبع كل مراحل تطوره صغيرة أو كبيرة حتى الوصول إلى الخيط الفاصل بين مرحلة ما قبل الفيروس الناجي ومرحلة ما بعدها على الصعيد العالمي، ومدى انعكاسات ذلك على الحياة الإنسانية في كل مناطق الكرة الأرضية، فالمشكلة اليوم ليست في مكان محدد بل في جميع الأماكن.

2. كورونا وهشاشة النظام العالمي، العالم والأزمة:

في كتابه الجديد "الجائحة تزعج العالم" كشف السلوفيني "سلافوي جيچك" عن الآثار الكبرى التي تعاني منها البشرية جراء هذا الفيروس الجديد الذي أصاب جسد الإنسان في نهاية سنة 2019 في إحدى المدن الصينية، مشيراً في الوقت ذاته إلى العواقب الوخيمة التي يمكن أن تنشأ عن الجائحة وفق ما تتبعه من مقاربات سياسية، اقتصادية واجتماعية للفيروس مبشراً بشيوعية جديدة مختلفة تماماً عن الشيوعية القديمة وعن تلك التي تتبعها الصين اليوم، داعياً إلى ضرورة العمل على كيفية الخروج من الأزمة التي قد تھوي بالإنسانية إلى

بربرية جديدة عالمية، ويعد جيجك من أكثر الفلاسفة شهرة اليوم في العالم نتيجة الاسهامات الكبيرة التي يقدمها في جميع مجالات الحياة، وهو ما جعل إحدى الصحف الغربية تصفه بأنه من أخطر الفلاسفة في الغرب في الفترة الراهنة، اهتم جيجك بالقضايا السياسية والاقتصادية والبيئية التي يمكن أن تؤدي بالعالم إلى كارثة حقيقية إذا لم يستطع ضبط مساره تجاه النظام الطبيعي، أما عن مضمون كتابه الجديد الخاص بالجائحة وحسب ما جاء في عناوينه الجذابة والمثيرة للعقل على البحث والتقصي على تشخيص راقى للحقائق المجهولة المميزة لطبيعة النظام العالمي السائد اليوم، حيث جاء في العنوان الأول: "نحن الآن جميعاً في المركب ذاته" بمعنى الوضع العالمي في ظل الجائحة الذي فرض حالة طوارئ عالمية على جميع سكان المعمورة، ثم عنوان آخر، "لماذا نحن متعبون دائماً؟"، ثم "نحو عاصفة كاملة في أوروبا"، مرحباً بالصحراء الفيروسية "المراحل الخمسة للجوائح"، "فيروس الايديولوجيا"، "اهداً وأفزع"، "رقابة وعقاب نعم رجاء"، "هل قدرنا البربرية بوجه إنساني؟"، "الشيوعية أو البربرية: هكذا ببساطة"، "موعدٌ في سامراء". (الناسك، 2020، <https://studies.aljazeera.net/ar/profile/1307>) فكل هذه العناوين تأكيد على حالة العالم الراهنة، والأخطاء التي ارتكبتها حتى تفشى فيه فيروس كورونا، وهو السؤال المحوري الذي يطرحه جيجك، ما الخطأ في نظامنا حتى أخذتنا الجائحة على حين غرة على الرغم من تحذير العلماء منذ سنوات؟، ومن ثمة التشكيك في مصداقية التقنية والتقدم الرهيب الذي حققه العالم الغربي في القرن العشرين، ولكن مع ذلك فشل في الكشف عن وباء كوفيد19 المستجد، موجهها نقده للصين أولاً متهماً إياها بغياب حرية التعبير فيها وإلا ما كان ليحدث ما حدث، مقدماً مثال الصحافية المقيمة في هونغ كونغ "فيرنا يو" حيث تقول: «لو كانت الصين تعلي من شأن حرية التعبير، لم تكن لتوجد أزمة فيروس كورونا، وسوف تتكرر مثل هذه الأزمات طالما لم تحترم حرية التعبير والحقوق الأساسية للمواطنين الصينيين». (الناسك، 2020، <https://studies.aljazeera.net/ar/profile/1307>) ولا ندري إن كان هذا الكلام صحيحاً أم لا، بمعنى هل حقيقة الصين تمنع حرية التعبير كما تقول هذه الصحافية أم أن هناك أغراض أخرى تخفيها هذه الكلمات من قبيل تشويه صورة الصين عالمياً، ومن ثمة الانتصار للولايات المتحدة الأمريكية، وغيرها من الأسئلة الأخرى ذات العلاقة المباشرة بطبيعة الصراع القائم بينهما منذ زمن بعيد، فالصين تتحمل تبعات انتشار الفيروس

حسب سلافوي جيجك لأنها خالفت القاعدة القديمة للشعب الصيني التي ترجع إلى الزعيم الصيني المشهور "ماوتسي تونغ": "ثق في الشعب" التي تحولت إلى توفير جميع متطلبات الشعب وكل ما يحتاجه ولكن عدم الثقة به، داعياً أيضاً إلى ضرورة إسقاط تلك الأقنعة التي لطاماً تحكمت في مصير الشعوب وحياتها مثل أمريكا أولاً، فكما قال مارتين لوتر كينغ قديماً: "ربما قد نكون وصلنا جميعاً على متن سفن مختلفة، لكننا في القارب نفسه الآن." (الناسك، 2020، <https://studies.aljazeera.net/ar/profile/1307>) بمعنى التأكيد على ضرورة التضامن والتعاون بين البشرية من أجل التغلب على الخطر المحدق بها من كل الجوانب، قبل الغرق جميعاً في مياه الفيروس التاجي الذي لا يعرف الرحمة أو الشفقة لكل من يجده أمامه، مشبهاً مصير أوروبا بغرق السفينة الأمريكية "أندريا جيل" يقول: «فوق أوروبا تتجمع ثلاث عواصف وتندمج قوتها، وباء الفيروس التاجي في تأثيره البدني المباشر (الحجر الصحي والمعاناة والموت) وأثاره الاقتصادية التي ستكون أسوأ في أوروبا من أي مكان آخر، لأن القارة راكدة بالفعل، وهي أكثر اعتماداً من مناطق العالم الأخرى على الواردات والصادرات، أما العاصفة الثالثة فيمكن تسميتها "فيروس بوتوغان" (بوتين وأردوغان).» (الناسك، 2020، <https://studies.aljazeera.net/ar/profile/1307>) نتيجة الصراع المحتدم في سوريا بين تركيا وروسيا ومن ثمة استغلال حياة الملايين من البشر لخدمة مصالحهم السياسية الخاصة.

فقد كشفت جائحة كورونا عن العديد من الأسئلة المحورية المتعلقة بجوانب شتى لعل من أبرزها طبيعة النظام العالمي الحالي الذي وجد نفسه في دوامة من الإشكالات المحورية الحاسمة المرتبطة أساساً بمصير الإنسان ومستقبله في ظل عالم غير معروف وجهته بعد انقضاء عدة الوباء من العالم، من هنا يبرز عالم اللسانيات اللغوي الأمريكي المشهور نعوم تشومسكي الذي يناهز التسعينات من عمره ليشخص لنا حالة الأوضاع العالمية في زمن كورونا والرؤى المستقبلية التي يمكن أن تحملها الجائحة معها اقتصادياً وسياسياً وغيرها من المجالات الأخرى التي ستعكس عليها فترة الوباء، مندداً في الوقت ذاته بالسياسة الأمريكية ونظامها العالمي الذي لم يستطع تقديم الحلول الكفيلة بتجنب كارثة كورونا ومعه الدول الأكثر تقدماً في العالم، نعوم تشومسكي اشتهر بتحليلاته السياسية الناقدة للنظام العالمي الأمريكي خصوصاً في فترة الرئيس الأمريكي

ترامب الذي وصفه بأنه غير مسؤول ولا يمكنه اتخاذ القرارات الصائبة بل وصفه بالطائش والمتهور خصوصا بعد الطريقة التي تعامل بها مع فيروس كورونا، فقد وضعنا فيروس كورونا أمام أزمة عالمية حقيقية قد يطول أمدها لسنين أخرى حتى بعد انقضاء مرحلة الفيروس، وستعكس من دون شك على الدول الضعيفة والفقيرة التي تعاني أوضاعاً سياسية قاهرة كما ينبه تشومسكي إلى اللامبالاة الكبيرة التي واجهت بها كبرى الدول في العالم أزمة الوباء على الرغم من المعرفة المسبقة التي كانت تتمتع بها هذه الدول حول الخطر المحدق بالبشرية منذ فيروس سارس عام 2003 حيث يقول: «كان العلماء يحذرون من قدوم الجائحة منذ سنوات وبشكل أكثر إلحاحاً منذ وباء سارس في 2003، والذي تم تطوير لقاحات له لكنها لم تتقدم أبعد من المستوى ما قبل السريري ... لكن الفهم العلمي ليس كافياً يجب أن يكون دائماً هناك أحد ما يلتقط الكرة ويجري بها، لكن هذا الخيار حظرت أمراض النظام الاجتماعي، الاقتصادي المعاصر، فقد كانت إشارات السوق واضحة، فليس هناك أي ربح في منع وقوع كارثة في المستقبل.» (بوليكرونيو، 2020، <https://bit.ly/2PrrgLk>) فمن مظاهر هذه الأزمة التي يؤكد عليها تشومسكي هي غياب أجهزة التنفس الاصطناعي في ظل المنطق الليبرالي الرأسمالي القائم على ضرورة تحقيق المزيد من الأرباح حتى في لحظات الكوارث الإنسانية ودمار الإنسان، هذا ما يشتهه الصراع بين كبرى الشركات العالمية المتخصصة في إنتاج اللقاحات ومواد التعقيم وأجهزة التنفس الاصطناعي وغيرها من المواد الأخرى، يقول: «وفقاً للعقيدة النيوليبرالية فإن مهمة مديري الشركات هي تعظيم الأرباح ومن شأن أي انحراف عن هذا الالتزام الأخلاقي أن يحطم أسس الحضارة والحياة المتحضرة، سيكون هناك تعافٍ من أزمة كوفيد 19 بتكلفة كبيرة وربما مروعة خاصة بالنسبة للفقراء والأكثر هشاشة، ولكن لن يكون هناك تعافٍ من ذوبان الصفائح الجليدية القطبية ومن العواقب المدمرة الأخرى، هنا أيضاً تنجم الكارثة عن فشل السوق، والتي ستكون في هذه الحالة بأبعادٍ تهر الأرض حقاً.» (بوليكرونيو، 2020، <https://bit.ly/2PrrgLk>) فقد تعاملت أمريكا مع الوباء بسخافةٍ واستهزاء واعتبرته مجرد حالات عادية من الزكام أو السعال، فكانت النتيجة وخيمة على جميع الأصعدة حيث سجلت الولايات المتحدة الأمريكية أرقاماً قياسية في عدد الحالات المصابة أكبر بكثير من النتائج التي سجلتها الصين وهي البلد الذي انتشر فيه الفيروس أول مرة، وبالتالي جعلنا فيروس كورونا أمام حتمية إعادة البحث في الكثير من الأسئلة ذات العلاقة

المباشرة بمشكلة الرعاية الصحية والحفاظ على الإنسان وسلامته من جميع الأخطار والكوارث التي تتربص به من كل جانب خصوصاً في المرحلة الراهنة التي عرفت العديد من التهديدات على الصعيد العالمي من أهمها الأخطار الأيكولوجية التي أصبحت بمثابة الخطر الحقيقي المهدق بالبشرية نتيجة كثرة الملوثات بجميع أصنافها من جهة، وزيادة نسبة الصناعية لدى الدول الأكثر تقدماً في العالم، الأمر الذي قد ينعكس سلبياً على مستوى الحياة الإنسانية على الكوكب الأزرق، ومن ثمة أصبح البحث في هذه المسائل من الأولويات التي يجب التأسيس لها جيداً، وهي الفكرة التي نجدها عند الألماني هانس يونس من خلال أبحاثه في الأخلاقيات الجديدة المرتبطة بمسائل البيئة والأخلاق الأيكولوجية، والتجاوزات البيوتكنولوجية على الكائن الحي عموماً والإنسان على وجه الخصوص مقترحاً الحل في ضرورة تحمل كل شخص أو مؤسسة أو دولة لمسؤوليتها تجاه ما تقوم به من أفعال وسلوكيات مضرّة بالبيئة والإنسان، هذا ما نجده في مؤلفه المشهور "مبدأ المسؤولية" باعتباره ردُّ فعل تجاه كل التجاوزات المهددة بالإنسان في عالمنا الراهن، يقول تشومسكي في الفكرة نفسها: «إذا كنا نأمل في تجنب الكوارث المستقبلية فإننا يجب أن ننظر إلى ما ورائها لقد جاء ترامب إلى المنصب في مجتمع مريض مصاب بـ 40 عاماً من مرض النيوليبرالية هذا هو العالم الذي ورثه ترامب، وهو الهدف لكبش نظامه، بالنسبة لأولئك المهتمين بإعادة بناء مجتمع قابل للحياة من الحطام الذي تتركه الأزمة الراهنة سيكون من الجيد أن يستجيبوا لدعوة فيجاي براساد، لن نعود إلى الوضع الطبيعي، لأن الوضع الطبيعي كان هو المشكلة.» (بوليكرونيو، 2020، <https://bit.ly/2PrrgLk>) بمعنى الآثار الناجمة عن فيروس كورونا ما هي إلا تعرية عن الحقائق التي كانت مخفية وراء النظام الليبرالي القائم على معادلة الربح وفقط دون الالتفات إلى تلك القضايا المهمة المتعلقة بالإنسان ومصيره.

فقد كشفت كورونا عن الكثير من الأسرار التي كان يقوم عليها النظام العالمي والعلاقات القائمة بين الدول التي تحولت فجأة ودون سابق إنذار إلى مجرد أُنانية ومصلحة شخصية ذاتية لا أساس للأخلاق فيها على الإطلاق، ومن ثمة ضرورة إعادة طرح سؤال الإنسان من جديد في ظل التحولات الكبرى التي يشهدها العالم في زمن الوباء العالمي يقول باسل عثمان: «إن العقلانية العالمية تتطلب حراكاً ثورياً عالمياً لإصلاح الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية القائمة بما يضمن مصالح البشرية جمعاء والحفاظ على ثروات

الطبيعة ومخزوناتهما من الاستغلال الجائر لمواردها.» (باسم، 2020، ص: 05) وهي الفكرة التي عبّر عنها الكاتب الأمريكي "دين راكونترز" عندما تصور في روايته "عين الظلام" انفلات فيروس فتاك في مقاطعة ووهان الصينية من عقاله مستهدفاً بني البشر وحدهم دون غيرهم. (باسم، 2020، ص: 05) ومن ثمة كانت ضربة كورونا قاسية جداً على الدول المتقدمة التي كانت تتغنى بشعارات العولمة ومفهوم القرية الكونية والصغيرة في ظل ما بلغه التقدم العلمي التقني الذي يعرفه العالم اليوم في القرن الحالي، الأمر الذي جعل الفيروس يحمل العديد من الأبعاد الخطيرة ذات الطابع السياسي بالأساس، الأمر الذي عزز فكرة الحرب البيولوجية كنمط جديد من الحرب العالمية اليت يعيشها العالم اليوم، وهو يعيش حالة صراع رهبة مع عدو لا نعرف مكانه ولا حجمه، لا نراه فهو لا متناهي في الصغر إنه عالم لا يشبه بقية العوالم الأخرى على الإطلاق، "ومن ثمة يكون فيروس كورونا بمثابة الوجه الحقيقي للعولمة وعبر إعلامها المضلل، حيث امتد جسر عولمة الخوف والتهويل ليساوي بين الدول الغنية والفقيرة." (باسم، 2020، ص: 06) وهذا ما نجده في السياسة الإسرائيلية المتبعة في فلسطين واستغلال الظرف الوبائي العالمي في تنفيذ بنود صفقة القرن في ظل غفلة دول العالم بالصراع مع فيروس كورونا ومن ثمة استغلال الظرف في تنفيذ مشاريعها الخبيثة على الأرض الفلسطينية المقدسة، وعليه كان الفيروس بمثابة الفرصة التي لا تقبل التضيق لتنفيذ الكثير من المشاريع السياسية مادام الحدث العالمي اليوم هو انتشار الفيروس وكيفية التصدي له، فقد أضحي الكل مهدهد الأمر الذي يقتضي ضرورة العمل الجماعي للخروج من الوضع المأساوي بامتياز الذي أصبح القناع فيه الوجه الحقيقي في كل نقطة من كوكبنا حيث يجدد تشومسكي دعوته إلى ضرورة التعامل مع الفيروس بنفس الخطاب الشعبوي في زمن الحرب حيث يقول: «نحن بحاجة إلى مثل هذه العقلية للتغلب على الأزمة على المدى القصير، والذي تتمكن فيه الدول الغنية من مساعدة الدول الفقيرة فإذا أردنا التعامل مع هذه الأزمة علينا الانتقال إلى شيء يشبه التعبئة في زمن الحرب وبيضيف أن أزمة فيروس كورونا قد تدفع الناس إلى صنع العالم الذي يريدون العيش فيه، خاصة إذا قررت الدول الغنية مساعدة المحتاجين عوض عن خنقهم.» (همسة، 2020، <https://bit.ly/3rmH2F6>) فالوضع العالمي يحتم ضرورة البحث عن الحلول الفعالة لتجنب وقوع كارثة حقيقية قد يطول أمدها، كما نبه تشومسكي إلى فشل السياسات والحكومات العالمية في التعامل مع الجائحة التي كانت تملك القدرة على تجنبها ومن ثمة

التحكم فيها، ولكنها لم تعطي لها أي قيمة فكانت النتيجة هكذا، يقول: «إن الأزمة الحالية أثبت فشل سياسات السوق حين سلمنا مصيرنا للاستبداد الخاص لشركات الأدوية التي لا تخضع لمساءلة الجمهور بل لمصلحة نفعية للنيلويرالية المتوحشة التي تتحكم باقتصاد السوق وفلسفة العرض الطلب على المستوى العالمي حيث الطاعون الجديد المتمثل في النيلويرالية يقودنا إلى الهلاك.» (همسة، 2020،

(<https://bit.ly/3rmH2F6>)

كما نادى أيضاً بضرورة تجاوز النظام القائم والدعوة إلى تأسيس نظام جديد إنساني يضمن مستقبل الإنسان ويمنعه من الزوال والاندثار في ظل الكوارث التي تحيط به من كل الجوانب، فالعالم في وضع معيب كشف عن مدى ضعفه وعدم قدرته على مواجهة الأخطار المحيطة به خصوصاً في مجال الصحة والرعاية الطبية في كل أنحاء العالم كله الذي ركز كامل قوته في السباق نحو التقنيات الجديدة في الأسلحة والعتاد الحربي مهماً هذه القطاعات الحساسة والمصيرية التي تهتم بسؤال الإنسان وقيمته، ومن ثمة الأبعاد الأخلاقية والإنسانية في التعامل مع الشعوب، لذلك يدعوا تشومسكي إلى ضرورة استبدال النظام العالمي السائد بنظام عالمي إنساني من أجل أن يكون هناك مستقبل للبشرية قابل للبقاء وقادر على رفع التحدي والمنافسة في ظل التحولات الكبرى التي يعرفها اليوم في زمن الوباء يقول: «العالم معيب وليس قوياً بما فيه الكفاية للتخلص من الخصائص العميقة المختلفة في النظام الاقتصادي والاجتماعي العالمي كله، واستبداله بنظام عالمي إنساني كي يكون هناك مستقبل للبشرية قابل للبقاء عندما نتغلب على هذه الأزمات بطريقة أو بأخرى فإن الخيارات المتاحة ستتراوح بين تركيبة دول وحشية شديدة الاستبداد أو إعادة بناء جذرية للمجتمع تقوم على أسس أكثر إنسانية تهتم بالاحتياجات البشرية لا بالربح الخاص.» (همسة، 2020، <https://bit.ly/3rmH2F6>) بمعنى البحث عن عالم أفضل مبني على احترام حقوق الإنسان وكرامتهم عالم قادر على مواجهة كل المشكلات التي يعاني منها، والتي تترتب به من كل الجهات سواء مشاكل نووية تهدد وجود الإنسان، وكوارث بيئية قد تعصف بكوكبنا في أي لحظة إن لم نرجع إلى طبيعتنا العاقلة ونعيد التفكير في سؤال مصيرنا من جديد، من هنا يجدد صاحب جائزة سيدني للسلام تمسكه بالحل الكامن في الحركة الاجتماعية للتغلب على فشل النيلويرالية، فتعزيز أواصر

التضامن والتشارك هو المطلوب الملح اليوم لمواجهة وباء كورونا، وفي هذا الصدد تزايدت الاتهامات بين الدول الأكثر تقدماً التي تتزعماً الولايات المتحدة الأمريكية والصين وبقية الدول الأخرى، فالكامل يحمل الآخر مسؤولية ما يحدث عالمياً، فمن الراجح من جائحة كورونا؟ وكيف ستكون نهاية الوباء على الصعيد العالمي اقتصادياً وسياسياً؟ وهل سيصبح الحديث عن الفيروس من قبيل الأمور العادية والطبيعة بعد اكتشاف اللقاح؟، كلها أسئلة يصعب الحسم فيها في الوقت الراهن، بل تحتاج إلى مرافقة زمنية لمعرفة ما سيكشف مستقبل العالم بعد الجائحة، خصوصاً ونظرية المؤامرة قد برزت على الساحة الدولية في ظل صراع سياسي حاسم يخفي وراءه العديد من الأسرار والألغاز التي تحتاج إلى كثير من العقل والتفكير من أجل فك شيفرة الواقع العالمي الراهن الذي أثبت مدى عجزه الكبير في احتواء مأساة كوفيد 19، ومن ثمة التشكيك في مصداقية النظام الرأسمالي، يقول "كاظم الحبيب" في مقاله الموسوم بـ "النظام الرأسمالي ما بعد كورونا، هل من جديد؟": «برهن النظام الرأسمالي على صعيد الدول الكبرى، لاسيما في المراكز الامبريالية الثلاثة، وعلى الصعيد الدولي عن عجزه منذ أن بدأت الأزمة البنيوية الحادة في النصف الثاني من القرن العشرين عن معالجتها رغم محاولتها إيجاد حلول لها عبر نهج النيوليبرالية، ورغم الدور المساعد والكبير الذي مارسته الثورة العلمية والتقنية ومنجزاتها ومن ثم ثورة الإنفوميديا والثورة الرقمية إضافة إلى العولمة الرأسمالية، وقد ظهر هذا العجز في فترة الأزمة المالية والاقتصادية عام 2008/2009، وفي أزمة وباء كورونا الجارية. (كاظم، 2020، <https://bit.ly/3bUEPKL>) هي واحدة من النقاط الجوهرية التي وجهت للنظام الرأسمالي الليبرالي الذي أصبح في الفترة الأخيرة يعيش وضعاً متأزماً رغم القوة التقنية والعلمية التي يمتلكها، في حين الوضع يزداد سوءاً سواء اجتماعياً أو اقتصادياً وحتى سياسياً لأن كل المؤشرات تدل على وجود أزمة، والمشكلة المركزية في النظام الرأسمالي العالمي تتجسد يوماً بعد آخر في التناقض الجوهرية بين الطابع الاجتماعي لقوى الإنتاج والطابع الخاص للملكية وسائل الإنتاج وتحليلات ذلك في الصراع بين العمل ورأس المال، بين الأجر وفائض القيمة." (كاظم، 2020، <https://bit.ly/3bUEPKL>) وبالتالي أنتجت كورونا الكثير من الجدل العالمي سواء في جانب البحث عن اللقاح المصيري الذي تنتظره كل شعوب المعمورة، الأمر الذي يعني تعليق حياة ملايين البشر بمخاطر البحث العلمي الغربي على وجه الخصوص، والأسئلة الأخلاقية الناجمة عنه إذا اعتبرنا أن

اللحاق موجود منذ مدة زمنية ولكن لا يسمح باستخدامه لأغراض أخرى ذات طابع سياسي واقتصادي محض، وما سنجر عنه من قضايا متعلقة بمصير الحياة، أو الجانب الاقتصادي الذي أنتج أزمة كبرى لدى الدول الضعيفة والتي تعيش أوضاعاً قاهرة على الصعيد الاجتماعي أو حالات عدم الاستقرار السياسي مثل الدول التي تعاني من ويلات الحروب والتي همشها الإعلام العالمي الذي ركز جلّ اهتمامه على الدول الكبرى في العالم، أما الأخرى الضعيفة فلا نصيب لها من الحق في معرفة أوضاعها أو مساعدتها على تجاوز الأوضاع الكارثية التي تعصف بها من كل الجهات، كما هو الحال في سوريا، اليمن، فلسطين وغيرها من الدول الأخرى، ومن ثمة وضعنا فيروس كورونا أمام مجموعة من الحقائق الأساسية التي لا يمكن التغاضي عنها مهما حاولنا ذلك، لأن ضمير الإنسانية لا يمكن إسكاته مهما كانت المبررات والأسباب المقدمة، بمعنى أن جائحة كورونا قد وضعت النظام العالمي تحت المجهر وأفضل دليل على ذلك القراءات والتحليلات العميقة التي قدمها العديد من المفكرين حول مستقبل العملة والنظام الليبرالي في ظل الجائحة، أمثال: نعوم تشومسكي، إدغار موران، هابرماس والقائمة طويلة.

3. فيروس كورونا والحاجة إلى إعلان عالمي لحقوق الإنسان

تنوعت أشكال الخطاب وأصنافه حول الفيروس المستجد، فالكمل حاول تقديم رأيه حول الوضع الطارئ الذي يعيشه العالم اليوم والذي يعد بادرة أولى في تاريخه الطويل، وفي هذا الصدد يرى "فريدريك غرو" ضرورة إعادة قراءة ميثاق حقوق الإنسان والمبادئ الأساسية التي يقوم عليها مقترحاً مجموعة من الحلول للخروج من الوضع المتأزم الذي وجد الإنسان المعاصر نفسه فيه دون أيّ سابق إنذار، والبحث عن ميثاق حقوقي جديد هو الذي يسميه في ما بعد مبدأ الأمن الإنساني خصوصاً في الحالات الطارئة والاستثنائية التي يعيشها الإنسان الذي أصبح مهدداً من كل الجوانب نتيجة الأخطار المحدقة به سواء من زيادة أشكال الحروب عبر العالم أو من خلال التغيرات المناخية والكوارث الطبيعية وانتشار الفيروسات والأوبئة الأمر الذي يستدعي إعادة صياغة مبادئ جديدة في مفهوم الأمن الحيوي ومصير الحياة الإنسانية على الكوكب الأزرق، يقول محمد أزيوتة: «يعيش العالم اليوم بفضل التهديد المباشر لفيروس كورونا تحدياً عالمياً حقيقياً يهم الأمن الإنساني في

نواته الأساسية أي الحياة الإنسانية، صحيح أن تحديات وعواقب الأمن الإنساني الفعلي ليست جديدة فقد طرحت في القرن العشرين ... غير أن المؤسسات السياسية، إما بتجاهل أو من أجل مصالح جيوسياسية، لم تنتبه إلى تلك العواقب والتحديات في شموليتها وتحدياتها وتبعاتها.» (أزويتة، 2020، <https://couua.com/2020/03/23>) فالصراعات والأخطار كانت قبل كورونا وليست وليدة فترة الوباء فقط، بل على العكس تماماً، فكل المؤشرات السياسية والجيوسياسية التي عرفها العالم بداية من القرن العشرين وإلى غاية اللحظة الراهنة ميزتها تصاعد وتيرة الصراع والعنف الدولي فمند حرب باكستان والعراق إلى حروب الأقليات والعمليات الإرهابية المخطط لها في الكثير من دول العالم، وعلى وجه الخصوص العالم العربي، ومن ثمة أصبحت مبادئ حقوق الإنسان فارغة من محتواها الأصلي الذي وجدت من أجله وهو ضمان حق الإنسانية في الحياة والعيش الكريم، في حين نشاهد يوميا إبادة جماعية وتزايد عدد الموتى بسبب الجوع والمجاعة وسوء الأوضاع الأمنية فيها، من هنا يؤكد فريدريك غرو على نقد الأسس الأمنية والسياسية التي يقوم عليها النظام العالمي مقترحاً مبدأً جديد وهو مبدأ "الأمن الإنساني"، فماذا يقصد به؟.

يقوم مبدأ الأمن الإنساني عند غرو على توفير الحماية للإنسان من كل المخاطر التي قد تصيبه حفاظاً على سلامته انطلاقاً من ضرورة صون الحياة من كل ما يهددها ويعرضها لخطر الزوال والانحيار، ومن ثمة يكون الخطاب المتمحور حول مسألة الأمن الحيوي يسير وفق ثلاثة توجهات كبرى حاول غرو توضيحها في مشروعه الإنساني وهي: الجهاز العضوي القابل للاختراق، الطفل الضعيف، السكان القابلون للعطب. فهذه المجالات الثلاثة بحاجة إلى مبدأ يصونها ويكفل لها الحق في الحياة بعيداً عن كل مظاهر التمييز والقهر الاجتماعي والايديولوجي وغيرها من أشكال العنف الذي نشاهده يوميا، يقول: «يطرح الكائن الحي مشكلة تهم كل ما يمكن أن يخترقه ويؤدي به إلى الانحيار ويفسده (الأعدية، الأدوية، الهواء)، خطر يزداد مع عوامة التبادل والتواصل العالمية التي جعلت العالم أقل تكتماً، يتطلب الطفل الضعيف أن يكون محمياً من البيئات العدوانية ومؤمناً في تدرجه وتعلمه، وهو ما يعني حاجته إلى العناية الدائمة، وأخيراً فإن السكان سريعو الأعطاب ضحايا الأزمات الإنسانية والاجتماعية والسياسية، هم في حاجة دائمة إلى المساعدة والحماية وأشكال الدعم

المختلفة.» (أزويته، 2020، <https://couua.com/2020/03/23>) لأن ضياع حقوق هذه الفئات الثلاثة معناه غياب مفهوم الإنسان من كل الخطابات الأخلاقية والحقوقية والسياسية التي تصبح لا معنى لوجودها لأنها فشلت في ضمان مبدأ الحماية الحيوية وتحقيق الأمن الإنساني باعتباره مطلباً جوهرياً لا يمكن التغاضي عنه على الإطلاق، أما مسألة المرض والوباء فنتج عنها مسألة أخرى وهي اعتبار الجسد الإنساني جسداً قابلاً للاختراق نتيجة الأخطار التي تترصد به ويجسده من مختلف الأمراض التي قد تصيبه أو مختلف الفيروسات والميكروبات الخطيرة مثل فيروس كورونا المستجد، وغيرها من المسائل الأخرى المهمة المتعلقة بالصحة والمرض، فمبدأ الأمن الإنساني يشمل جميع مناحي الحياة الإنسانية ولا يمكن حصره في مجال دون آخر، حيث نجد ضرورة وجود الأمن المجتمعي، الأمن الهوياتي من كل أشكال الاختراق المبرجة في زمن العولمة والتقنية الرهيبة، الأمن المتعلق بالطفل الصغير عند على النفس الطفل الذي يحتاج إلى الرعاية والحماية بشكل خاص يراعي فيه جميع خصوصياته، وغيرها من الأشكال الأخرى التي تلعب دوراً محورياً في تحقيق مبدأ الأمن الإنساني في بعده القانوني والأخلاقي الإنساني، "إن عاطفة الأمن الإنساني هي بمثابة طفل لا يموت، مرض لا ينتشر، عمل لا يعطل، التعصب الاثني الذي لا ينحل بالعنف، مخالف في الرأي أو منشق لا يختزل في صمت." (أزويته، 2020، <https://couua.com/2020/03/23>) ويقول أيضاً: «يقصد بالأمن الإنساني أساساً حماية الأفراد ضد التهديدات والأخطار، سواء أصحابها عنف أم لا.» (أزويته، 2020، <https://couua.com/2020/03/23>) فالأمن الإنساني شرط ضروري في فهم العلاقات الإنسانية والقيم التي يجب مراعاتها في التعامل مع الإنسان مهما كان جنسه أو عرقه أو لونه حيث تتحول القاعدة من حماية الأفراد للدولة إلى حماية الدولة إلى للأفراد والأشخاص واقعياً بمعنى تجنب كل ما يهدد مصير الإنسان مهما كان نوعه، وأفضل مثال على ذلك الحروب الأهلية التي تحصد ملايين الأرواح البريئة من دون أي مبرر على هذه الأفعال اللاإنسانية، فقد تم إحصاء أكثر من 35 مليون من الضحايا المباشرين للحروب الأهلية وما بين 165 و 170 تم إبادة من طرف دولهم، ومن ثمة يتحول مصدر الخطر من المصدر الخارجي إلى مصدر آخر داخلي نتيجة سياسات فاشلة لم تستطع توفير ما يحتاجه السكان من متطلبات أو نتيجة أساليب وحشية في التعامل

مع المواطنين نتيجة غياب عدالة التسيير، وازدياد الهوة بين دول العالم الأول المتقدم والعالم المتخلف، الأمر الذي سينعكس سلباً على الواقع الأمني في تلك الدول.

فلا يمكن التعامل مع الأوضاع الطارئة والأزمات التي تمر بها الإنسانية بنفس الكيفية في الحياة العادية خصوصاً إذا تعلق الأمر بمسألة الحياة وقداستها سواء في النصوص السماوية التي أكدت على حرمة الحياة وضرورة صيانتها وحمايتها بمعنى توفير الأمن الحيوي في التعامل معها، أم في النصوص والمواثيق الدولية التي أولت عناية خاصة لقضية الحياة الإنسانية، ومن ثمة فآزمة كورونا بمثابة الدرس الحقيقي للإنسان لكي يتعلم جيداً من أخطائه ويصلح ما يجب إصلاحه في منظومته الصحية بالأساس لأنها المسؤولة الأولى عن كل مصادر الألم والمعاناة التي يعيشها الإنسان اليوم في زمن الوباء المدمر الذي أخذ ملايين الأرواح في فترة زمنية قصيرة، وإعادة النظر أيضاً في الاستراتيجيات الدولية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً في التعامل مع الأزمات الوبائية أو الكوارث الطبيعية التي تقتضي رؤية موحدة تزول فيها كل التمييزات المصطنعة بين البشر على أساس العرق والجنس واللغة والدين وغيرها من التفاوتات المصطنعة التي لا أساس لها فالكمل في مركب واحد، وضمان الأمن الإنساني مطلب مشترك لا بد من توفره في كل تجليات حياتنا اليوم، خصوصاً في المرحلة الراهنة التي غابت فيها الكثير من المعاني الإنسانية أو بعبارة أخرى مرحلة أفول القيمة من حياتنا وواقعنا المعيش.

إن نظرية الأمن الإنساني لا تحتل في نقد الدولة المتهمة بالتضحية بأفرادها الحقيقيين لصالح أمنها بل تتوخى تشجيع انفتاح القدرات الحيوية لكل فرد وتألقها في مجموع أبعادها، بل وتجاوز نظرية حقوق الإنسان التي أصبحت تمثل حالة خاصة من الأمن الإنساني وكذلك شكله القانوني المجرد، والتشديد بالمقابل على قيمة الكرامة الإنسانية ورفع شعار الأمن الإنساني عالياً. (أزوبيتا، 2020، <https://couua.com/2020/03/23>) ومن ثمة تجاوز مرحلة الخوف المرعب الذي يترصص بالإنسان خصوصاً في الفترة الراهنة، من هذا المنطلق يؤكد فريديريك غرو أن السلطة وفق التوجه الجديد للأمن لم تعد قادرة على مراقبة حركة الأفراد والجماعات وتدفقات المعلومات والصور، السلع والبضائع، الجرائم والفيروسات. لذلك يقترح العمل على محورين جديدين هما تجاوز منطق الدولة الأمن ورموزها المشهورة مثل الشرطة، الجيوش، القضاء ومؤسسات وأجهزة أخرى. بالإضافة إلى

دور المراقبة والتعقب الذي يقوم به الأمن المعاصر من خلال عمليات التتبع والتساؤل عن الأماكن والفضاءات المعاصرة، مع ضرورة إعطاء الكلمة للرموز الجديدة كالخبراء والمهندسين وتتبع المسارات الأكثر حركية.

خاتمة:

في نهاية هذه الورقة البحثية يمكن الوقوف على مجموعة من النتائج المهمة المتعلقة بأزمة فيروس كورونا والأسئلة الحاسمة التي أفرزتها الجائحة على الصعيد المحلي والعالمي نتيجة القوة الرهيبة التي تميزت بها، وما رافقها من جدل واسع في جميع الأصعدة، باعتبار أن الفيروس قد شمل جميع مناحي الحياة الإنسانية، الاجتماعية، الصحية، الاقتصادية والسياسية وغيرها من المجالات الأخرى التي كانت حاضرة في هذه الجائحة.

لقد فرضت كورونا أزمة إنسانية عالمية ستكون انعكاساتها وخيمة حتى بعد انقضاء فترة الوباء. بمعنى الآثار المتعددة التي فرضتها الجائحة على الواقع الإنساني من جميع الجوانب الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية والثقافية والحضارية.

يعد فيروس كورونا من أخطر أنواع الأوبئة التي عرفها العالم نتيجة الملح الكبير والرعب الذي خلّفه ورائه في كل دول العالم المتقدمة منها والمتخلفة أمام دهشة كبيرة وعجز شبه تام في إيجاد الترياق الملائم لهذا الوباء.

كشف فيروس كورونا عن ذلك الصراع المتوحش بين الإنسان والطبيعة، ومن ثمة الرجوع إلى المبدأ الديكارتي القائل بالسيطرة على الطبيعة والتسيّد عليها.

لقد كشف لنا فيروس كورونا على مدى عدالته في جميع البلدان التي انتشر فيها كونه لم يستثن أحدًا على غرار باقي الفيروسات والأوبئة الأخرى التي عرفها العالم من قبل في تاريخه.

يصنف فيروس كورونا المرعب ضمن الفيروسات التاجية التي عرفَ العالمُ نسخاً عديدة منها، من أبرزها وباء "سارس" هذه الفيروسات المعدية والمعقدة التي حَيَّرَتْ عقول العلماء والأطباء عبر العالم في إيجاد اللقاح المناسب لها الذي أصبح بمثابة الرهان الحقيقي في زمن الكورونا.

إن فيروس كورونا قد غيّر مسار الحياة الإنسانية نتيجة الابعاد المختلفة التي حملها الوباء ومن ثمة ضرورة العودة إلى الأسئلة المصيرية المتعلقة بالجانب الأخلاقي والقيمي الذي يضمن للإنسان حقوقه في الرعاية الصحية والطبية والاهتمام دون أيّ تمييز عنصري على أساس العرق والجنس وغيرها من التمييزات المصطنعة بينهم.

قائمة المراجع:

__ أزويته، محمد. (2020). فريدريك غرو: في الحاجة إلى إعلان عالمي لحقوق الإنسانية، موقع كوة. تاريخ الاطلاع: 2020/11/20. الرابط الالكتروني: <https://couua.com/2020/03/23>

__ العمر، ياسر. (2010). مفاهيم أساسية في علم الوبائيات. سوريا: جامعة حماة: كلية الطب البشري.

__ الناسك، محمد. (2020). مراجعات كتب. **جائحة كوفيد-19 ترَجَّ العالم**. مركز الجزيرة للدراسات. تاريخ الاطلاع: 2020/09/24. الرابط الالكتروني: <https://studies.aljazeera.net/ar/profile/1307>

__ باسم، عثمان. (2020). **كورونا السياسي وما قبله وما بعده**. لبنان: مركز نماء للبحوث والدراسات.

__ بوليكرونيو، سي جيه. (2020). **نعوم تشومسكي: عن نقص أجهزة التنفس الاصطناعي وقسوة الرأسمالية النيوليبرالية**. تر: علاء الدين أبو زينة. موقع الغد. تاريخ الاطلاع: 2020/09/20. الرابط الالكتروني: <https://bit.ly/2PrigLk>

__ حنين، ماهر. (2020). سوسيولوجيا الهامش في زمن الكورونا. تونس: المنتدى التونسي للحقوق الاجتماعية والاقتصادية.

__ كاظم، حبيب. (2020). النظام الرأسمالي ما بعد كورونا، هل من جديد؟ موقع شبكة الاقتصاديين العراقيين. تاريخ الاطلاع: 2020/10/14. الرابط الالكتروني: <https://bit.ly/3bUEPKL>

__ هروس، حفيظ. (2020). الزمان الوبائي. المغرب: مركز تكامل للدراسات.

__ همسة، يونس. (2020). تشومسكي: فيروس كورونا كشف عيوب النظام العالمي. موقع بوابة إفريقيا الإخبارية. تاريخ الاطلاع: 2020/10/20. الرابط الالكتروني: <https://bit.ly/3rmH2F6>